

أدب الطفل وانهيار جدار القرية : قراءة في رواية "الأمير الصغير" لأنطوان دو سانت-إكزوبيري *

Children's Literature and the Collapse of the Village Wall: Read in The novel
of Little Prince's Novel by Antoine de Saint-Exupery

ط. د/ آمنة بيطاط

جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية (الجزائر)

مخبر التأويل وتحليل الخطاب

amina.bitat@univ-bejaia.dz

ملخص : شهد أدب الطفل ومنذ ظهوره عند الغرب وهجرته إلى الأوطان العربية تغيرات مست جميع جوانبه، كانت العولمة من أهم المحطات التي غيرت موازين القوة في هذا الأدب، لأنها مست الجوانب الثقافية للطفل؛ ملامسة خياله، ومستبنة دواخله، ومستثمرة في ذلك التقنيات التكنولوجية الحديثة، التي أصبحت تساهم في تنشئة الفرد، من خلال العمل على بث القيم والأنماط الاستهلاكية الغربية، وتوحيد النموذج الغربي، وهو ما تجسد في رواية الأمير الصغير لـ"أنطوان دو سانت - إكزوبيري"، التي وقع الاختيار عليها، لأنها فريدة من نوعها في هذا المجال؛ مزجت بين خطاب عولمي، وآخر لغوي فيه جل العناصر التي تسترعي اهتمام الطفل، وهنا تبرز أهمية هذه الورقة في معرفة مدى تأثير العولمة على النسق الثقافي للطفل والمجتمع.

الكلمات المفتاحية : أدب الطفل؛ الجدار؛ القرية؛ العولمة؛ رواية الأمير الصغير.

Abstract : Children's literature, since its emergence in the West and its migration to Arab countries, has witnessed changes that have touched all its aspects. Globalisation was one of the most important stations that changed the forces of balance in this literature. This was because it touched the cultural aspects of the child in touch with his imagination. In the form of his own, investing in modern technology techniques that have become contributing to the upbringing of the individual by working to spread western consumer values and patterns and unifying a Western model. Which embodied in the novel of the young Prince of Antoine de Saint-Exupery, selected because it is unique in this area, she mixed a global discourse with another linguistic element that attract the attention of the child. Here, the importance of this paper examines the extent to which globalisation affects the cultural pattern of children and society.

Keywords : Children's Literature; Wall; Village; Globalisation; the Little Prince's Novel.

*

تاريخ النشر: 2021/10/15

تاريخ قبول البحث: 2021/08/19

تاريخ استلام البحث: 2021/06/15

مقدمة:

تعدُّ الطفولة مرحلة حساسة في تكوين الإنسان، فطفل اليوم هو مستقبل الغد، لهذا وجب الاهتمام بهذه الفئة العمرية، لأن ثقافته هي لبنة أساسية في تكوين المجتمع، ومرحلة الطفولة هي الأكثر استهدافاً من قبل العولمة، التي تسعى لفرض نموذج ثقافي غربي، ما أدى إلى إضعاف دور المؤسسات الأسرية والتربوية، وخلق صراعاً مزدوجاً بينهما وبين الخطاب الثقافي العولمي، الذي يستهدف إعادة تشكيل الطفل، وإذابة محتواه الهويّاتي؛ الشيء الذي أثر في سلوكه، وسيطر على عقله ورغباته، ليقع أسيراً لسيادة النمط الاستهلاكي الموحد، هذا التطور للعولمة مَسَّ أدب الطفل، وهو ما نجد مظاهره في رواية "الأمير الصغير"، التي خاطبت عقل الطفل وخياله، ومزجت بين الجانب الإبداعي الروائي، والجانب المعرفي الذي بثت من خلاله التطورات العولمية التي شهدتها العالم مؤخراً، لهذا تهدف هذه الدراسة إلى: تسليط الضوء على نوع من الأدب الموجه للطفل الصغير، وتبيان تحديات العولمة على هذه الشريحة العمرية، وأثرها في تشكيل ثقافتها، وكذلك إظهار مخاطرها التي تستهدف عقل الطفل من خلال قيامها بمحو كل ماله شأن في بناء شخصيته في ظل مجتمعه القومي، وهنا نتساءل: ما هي العولمة؟ وإلى أي مدى تأثرت ثقافة الطفل بها؟ وكيف تجلت مظاهرها من خلال الرواية؟ وما علاقتها برواية الأمير الصغير؟

أولاً: العولمة (قراءة في المصطلح والمفهوم):

1. العولمة وخلفياتها التاريخية:

أ- انهيار جدار برلين (هدم الجدار):

إنّ تحديد مفهوم "العولمة" كمصطلح دقيق، هو أمر صعب لتعدد مسمياتها، واختلاف نشأتها، لكنها تحدد تاريخياً بانهيار "جدار برلين": (انهيار حائط برلين وانتهاء الحرب الباردة كرساً انتصار الولايات المتحدة، والمفاهيم التي ترعرعت فيها، من الآن وصاعداً هناك "كلية" واحدة ممكنة)¹، فهدم جدار برلين وسقوط الاتحاد السوفيتي، أعلنت نهاية الحرب الباردة، وحدثت نقلة نوعية بشكل متتابع في جميع الدول، من أجل هيمنة النموذج الرأسمالي المتمثل في النمط الأمريكي، وتكوين سلطة وحيدة منفردة بالحكم لتتأثر العالم بقيادة أمريكا.

ب- نظرية نهاية التاريخ:

تعود نظرية نهاية التاريخ إلى المفكر الياباني ذو الفكر الأمريكي "فرانسيس فوكوياما" francis fukuyama، فهو من الأوائل تقريباً الذين روجوا لفكرة "الشمولية"، يقول: (الأزمتين المزدوجتين

التسلطية والاشتراكية لم تتركاً في ساحة المعركة إلا إيديولوجيا واحدة محتملة ذات طابع شمولي: هي الديمقراطية الليبرالية²، ومعناها عنده هو فرض نموذج واحد، أو شمولية الرؤيا في إطار نموذج أحادي ليبرالي.

أعلن المفكر "فوكوياما" من خلال كتابه أن: الحكم المطلق في "نهاية التاريخ"، سيكون لصالح الكّلة الغربية الرّأس مالية، يقول: (سوف لا يبقى في نهاية التاريخ أي منافس حقيقي للديمقراطية الليبرالية)³، وبهذا أقرّ أنّ التاريخ سينتهي عند أمريكا التي تتخذ من الشمولية منهجاً لها.

2. مصطلحاتها:

أ. القرية العالمية (global village):

تعدّ "القرية العالمية" من أكثر المصطلحات الرائجة في تحديد مفهوم العولمة، وهي: (مفهوم ظهر لأول مرة بعد الحرب العالمية الثانية، وهو يعبر حالياً عن التغيرات التي حدثت في العالم، من نمو هائل للتكنولوجيا، التي ألغت الحواجز والعوازل الجغرافية والثقافية بين مختلف المجتمعات، مما جعل العالم كله بمثابة قرية صغيرة)⁴، وبالتالي فالعولمة تسعى لتحقيق فكرة شمولية العالم، بتضييق الحدود، مستغلة الثورة التكنولوجية والمعلوماتية، التي تُسهم في تشكيل القرية الصغيرة المنمطة المعايير والنظم.

ب. الأمركة (سيطرة النموذج الأمريكي):

شاع مصطلح "الأمركة" مؤخراً، لأن فكرة العولمة تقوم عليه، وحسب الناقد "برهان غليون" فإن الأمركة هي أحد أركان العولمة التي (تعني الانتشار الواسع لمنتجات الثقافة الأمريكية على حساب غيرها)⁵، تفرض العولمة النموذج الأمريكي على حساب النماذج الأخرى، وما عزز تحقيق هذه الفكرة هو سيطرة واستحواذ هذا الأخير على قطاع تكنولوجيا الإعلام والاتصال.

ج. إنسان ذو بعد واحد (one dimensionnel):

يعني تحقيق نموذج "إنسان ذو بعد واحد": (تخطيط المستهلكين بفرض سلعة معينة عليهم في مختلف أنحاء العالم، ما يسهم في إزالة هويتهم الوطنية والاجتماعية، وزرع الهوية العالمية فيهم، عن طريق ثورة المعلومات والسّمات المفتوحة)⁶، أن يصبح الإنسان أحادي البعد؛ موجهاً؛ فاقداً للملكة العقل النقدي، من بين الأفكار الأكثر خطورة، لأن الفرد يصبح مجبراً على التكيف مع الطاقات المهيمنة عليه.

3. مفهومها:

العولمة هي: (الترجمة لكلمة Globalisation المشتقة من كلمة Globe. والمقصود الكرة الأرضية. وال Globalisation تدل على مشروع لمركز العالم في حضارة واحدة. تعني تشكيل وبلورة العالم، بوصفه موقفاً واحداً وظهور لحالة إنسانية عالمية واحدة)⁷، فالعولمة أو "الكوكبة" مما سبق، هي مصطلح ذاع صيته في السنوات الأخيرة، فكرته الأساسية هي: (رسملة العالم، وتتم السيطرة عليه في ظل هيمنة دول المركز، وسيادة النظام العالمي الواحد، وبالتالي إضعاف القوميات، وإضعاف فكرة السيادة الوطنية، وصياغة ثقافة عالمية واحدة، تضمحل إلى جوارها الخصوصيات الثقافية، والنمط السائد حالياً هو العولمة الأمريكية؛ بمعنى أمركة العالم، وسيادة الإيديولوجية الأمريكية على غيرها من الإيديولوجيات)⁸، هذه الخلفيات الفلسفية؛ الإيديولوجية؛ السياسية؛ هي التي ساهمت في تشكيل مفهوم واضح المعالم للعولمة، ويتمحور حول هدف واحد هو، فرض نموذج غربي أحادي البعد.

4. مظاهرها:

نستطيع تلخيص مظاهر العولمة في ثلاث نقاط أساسية هي: (الأولى: بروز النظام الرأس مالي كقوة جبارة وانفراده بقيادة العالم. الثانية: قيام ثورة علمية تكنولوجية تكاد تحقق نقلة معرفية وإنتاجية جديدة، الثالثة: هيمنة الولايات المتحدة على وسائط نقل المعرفة، وسعيها لتنميط العالم سياسياً واقتصادياً وثقافياً)⁹، ساهمت الثورة العلمية والتكنولوجية في بروز العولمة كقوة فاعلة في المجتمع، فالتسلح بالتكنولوجيا ووسائطها المختلفة، جعل العالم قرية صغيرة وسكان المعمورة ككلة من المستهلكين للنموذج الأمريكي.

ثانياً: أدب الطفل وتحديات العولمة:

1. مفهوم أدب الطفل:

أدب الطفل من المجالات التي عُنت باهتمام النقاد والباحثين في عصرنا الحديث، والتعريف التالي يقدم مفهوماً عاماً له: (أدب الطفل كجنس أدبي، نشأ ليخاطب عقلية وإدراك شريحة عمرية، لها حجمها العددي الهائل في صفوف أي مجتمع، فهو أدب مرحلة متدرجة من حياة الكائن البشري، لها خصوصيتها وعقليتها وإدراكها وأساليب تثقيفها، في ضوء مفهوم التربية المتكاملة، التي تستعين بجالي الشعر والنثر)¹⁰، يظهر من خلال هذا التعريف أن: "أدب الطفل" جنس أدبي موجه لفئة عمرية محددة، كما راعى هذا المفهوم خصوصية المرحلة بالنسبة للطفل، من النواحي العقلية والإدراكية، وحثّ على تربية الطفل من خلال الاستعانة بالأدب بشقيه؛ الشعر والنثر، لبناء طفل

متكامل، فالأدب مرتبط بالطفل لأنه ينمي خياله ويداعب براءته وحواسه، إذن: علاقة الأدب بالطفولة هي علاقة مترابطة الأواصر ومتكاملة.

رافق هذا الجنس الأدبي جدلا واسعا في تحديد ماهيته، فهو من ناحية المفهوم لا يختلف: (عن أدب الكبار عموما، إلا في كونه موجها إلى فئة خاصة هي الأطفال، وهذه الفئة تتميز بمستوى عقلي معين، وبإمكانات وقدرات نفسية وجدانية تختلف عنا نحن الكبار)¹¹، ومنه نقول بأن الخاصية الأساسية في تمييز أدب الأطفال عن أدب الكبار، هي أن الأول مُرسل إلى شريحة الطفولة، التي تتميز بخصائص عقلية وحركية وإدراكية تميزها عن شريحة الراشدين، وتتميز الكتابة لها بالبساطة، والابتعاد عن التعميق اللفظي، والترميز الذي من شأنه جعل النص الموجه للطفل مغرقا في الشعرية، وكذلك الابتعاد عن الإطالة المملة والقصر المخل.

2. تحديات العولمة في تشكيل ثقافة الطفل:

أ. التغريب باستغلال الوسائط الإلكترونية:

يعتبر الطفل من بين الفئات العمرية الأكثر استهدافا من قبل العولمة، وذلك لأنها تسعى دائما لفرض نماذجها على كافة نواحي الحياة؛ تحاول اختراق عوالم الطفل، وتعتمد في ذلك على: (الثقافة الإلكترونية التي توفرها تكنولوجيا المعلومات والإعلام والاتصال، وتمثل جدة وجاذبية هذه الوسائل العامل الحاسم في انخراط الأجيال الناشئة في هذه الثقافة الإلكترونية)¹². إذن؛ هي تلعب لعبة التغريب الثقافي، باستغلال الوسائط الإلكترونية، التي تتيح للطفل عالما مليئا بالمفاجآت، وساحرا بالبرامج الترفيهية، ففي ظاهرها برامج تسلية وممتعة، لكن باطنها مشحون بالثقافة الغربية الدخيلة، التي تسلب شيئا فشيئا الصغار، وتجعلهم شغوفين طائعين لها، وفق ما تمليه عليهم.

تلعب وسائط الإعلام والاتصال دورا حاسما في تشكيل ثقافة الطفل، لأن (واقع الإعلام المعاصر هو جزء من ظاهرة العولمة، التي باتت سمة الحياة الإنسانية اليوم، بل هو تكثيف لها وتعبير عن الأهم فيها، وأساسها خضوع الأضعف للأقوى، وخضوع الأشد ضعفا للأضعف، والسيطرة المطلقة للدول المتقدمة على أهم المؤسسات الإعلامية ووسائل الاتصال، وتقوم الشبكات الإعلامية الإخبارية الكبرى بالتغطية الإعلامية الكونية)¹³، يتضح من هذا المثال أن العولمة تنشر ما تشاء من أخبار؛ سواء كانت تزييفا أم حقيقة، فهي تتحكم في جل الشركات الإعلامية حول العالم، غير أبهة بوجود شريحة من الأطفال لها خصائصها العمرية (المعنوية والفيزيائية)، لهذا السبب يكون تأثير

عملية التغريب الثقافي على الأطفال أكثر منه على الكبار، لأن الطفل في هذه المرحلة الحساسة يكون متلقياً فقط، ليست له القدرة على تنقيح ما يرسل إليه، وليس لديه رقابة ذاتية لتحصيل المعلومات التي تتسلل إليه من مختلف الوسائط.

ب. القضاء على الخصوصية الثقافية:

يتحور هدف "العولمة" أساساً في القضاء على الخصوصية الثقافية، التي تمنح التميز للشعوب، وتحقق ذلك من خلال هيمنتها على الجوانب الفكرية للطفل: (فالدول الكبرى تريد أن تفرض ثقافتها وأنماطها الفكرية بتعميم النموذج الغربي في العالم، وتشكيك أهم الحضارات العريقة في حضارتها ونفسها وعقائدها، وتغريب إنسانها في أفكاره، ومناهج تعليمه. يريدون أمركة كل شيء)¹⁴، وبالتالي: فهي تذيب معالم الطفل الهويّاتية، لتصره وفقها، فيصبح بذلك ينتمي إلى فكر أحادي النمط، ثبتته فيه العولمة: (على الصعيد الثقافي؛ دفعت الضغوط الداخلية والخارجية، ولا تزال، إلى تعميق أزمة الهوية والتراجع عن سياسة بناء الثقافات الوطنية. تتحول الحداثة من جديد إلى بنية أجنبية أو غربية، وتحدث شرخاً متزايداً بين قطاعات الرأي العام)¹⁵، فالعولمة قادرة على تفكيك القوميات، من خلال العمل على صهرها في بوتقتها الأحادية، معتبرة إياها لا ثقافة بالنسبة لدول المركز، فتفرض أنظمتها وقوانينها على الأقوياء من الدول الغربية، فما بالك بالدول المستضعفة من ذلك، وما بالك بالطفل الذي يعيش تجاذباً ازدواجياً، الأول "القومي" حيث نشأ، والثاني "الحداثي؛ العولمي"، الذي فرض عليه وعلى بيئته، ليصبح غريباً في مجتمعه يجتذبه التناقض من كل حذب وصوب.

ج. القضاء على الهوية:

تحاول "العولمة" جاهدة زعزعة فكرة الهوية، مستغلة الوسيط الإعلامي الذي يهدف إلى: (تفتيت النسق الاجتماعي، وخلق أزمة الهوية: فقد وظف الإعلام وتقنياته بصورة فجّة في تنفيذ المهام التي تستهدفها الإمبريالية الجديدة)¹⁶، لعب الإعلام دوراً فعالاً في محو البنية الخصوصية للناشئة، وبعث نمط جديد للحياة الاجتماعية والثقافية للشعوب، قائم على أساس عولمي متشعب بالقيم الغربية البحتة.

د. القضاء على اللغة:

تحاول "العولمة" فرض نموذج لغوي موحد في العالم بأسره متمثل في "اللغة الإنجليزية"، من خلال شن هجوم على اللغات الأخرى عامة، واللغة العربية بصفة خاصة: (تلعب الحرب ضد اللغة

العربية دورا هاما في عملية التغريب، في المكان والزمان معاً، فاللغة هي خزان الذاكرة الجماعية، من خلال الحرب عليها تتزعزع أركان الهوية، كما تحرف التراث الشعبي من خلال تزوير وتجهيل وحذف وإعادة تأويل، وصولاً إلى تزييف الأصالة¹⁷، تعمّدت هذه السياسة اختيار اللغة الانجليزية كبديل للغات الأخرى، وهو ما تحاول زرعه في الطفل، حيث أدرجت اللغة الإنجليزية كلغة ثانية بعد اللغة الأم في البرامج الدراسية لهم، وفعلت ذلك في البرامج التلفزيونية أيضاً، كمشروع تغريبي هدفه الأساس الإحساس بأهمية هذه اللغة، في مقابل ذلك إضعاف محتوى اللغات الأخرى.

هـ.القضاء على الأسرة والمؤسسة التربوية:

في خضم هذه التطورات، بدأ ينقص الدور الذي تلعبه الأسرة والمؤسسة التربوية في إعداد الناشئة، ومما زاد الخطورة على الطفل عدم قدرته على ممارسة الرقابة على نفسه، فينساق إلى كل المحتويات دون تمييز؛ إن: (تراجع سلطة الأب والأم وكبار السن والمدارس، حيث كان يمثل هؤلاء السلطة المرجعية التقليدية في عملية التنشئة، بعد أن تعرضت سلطتهم إلى الاهتزاز والاضطراب، وإلى تغيير الأدوار التقليدية والحديثة، حيث ظهرت مرجعيات تربوية جديدة، كالتلفزيون الذي أصبح يعوض دور الأم في التربية، بسبب قضاء الأطفال ساعات طويلة في مشاهدته)¹⁸، وبالتالي بات دور المؤسستين "التربوية والأسرية" في عصرنا المتسارع غير فعال.

يرجع السبب الرئيس الذي أدى إلى تقليص دور الأسرة والمؤسسة التربوية في: (تقليدية وسائلهما التربوية الذي من شأنه الحفاظ على اللحمة والهوية الذاتية، وفي هذا السياق؛ نعيش تجاذبا بين الأسرة التي تحاول الحفاظ على أبنائها، والعولمة التي تسعى إلى إعادة تشكيل الأطفال)¹⁹، فطفل اليوم في حاجة إلى التجديد ليستطيع مسايرة التسارع التكنولوجي، وينمو نمواً متوازناً، وبالتالي على الأسرة والمؤسسة التربوية تطوير مناهجهما ووسائلهما ليستطيعا إفادة الطفل.

و.القضاء على التراث والعادات والتقاليد:

إن تطعيم الطفل بالثقافة الشعبية الأصيلة، سيحميه ويعطيه مناعة لمواجهة الغزو العولمي، لأن (علاقة التراث بأدب الطفل علاقة وطيدة، إذ لا يمكن أن نتصور طفلاً يعيش في مجتمع ما، لا يقتدي بأسلافه، ولا يحمل شيئاً من تراثهم)²⁰، فالعودة إلى التراث والنصوص الأصيلة، تشكل ركيزة أساسية في تكوين هوية الطفل، لشأنها الكبير في حمايته، وكذلك لأنها تعطيه حقنة تطعيم

تمنحه مناعة ضد الغزو الثقافي، لكي لا يذوب في ثقافة الآخرين، التي تفرغه من محتواه، وتقتله من جذوره.

شهد العالم مؤخراً تغييرات كبيرة في العادات الاستهلاكية والثقافية للطفل، لأنه أصبح أكبر مستهلك للبرامج المشحونة بالثقافة الغربية، التي غزت العالم مثل: (مشروب الكوكاكولا والبيبسي، وساندويتشات الهامبرجر، المطاعم، والملابس، والأفلام والمسلسلات... حتى الأنماط الشاذة في الغرب وجدت صدى لها في "الشارع العربي")²¹، فيعاني الطفل بسبب هذه التجاذبات نوعاً من الازدواجية في تكوين شخصيته، التي من شأنها زعزعة القيم والعادات والتقاليد التي ترعرع في كنفها، لتحل محلها عادات وقيم أخرى، منها الملائم، والكثير منها غير ملائم.

ثالثاً: تجليات العولمة في رواية الأمير الصغير:

1. رفض القيم الحداثية:

من خلال عملية التأويل يتضح أن: "الأمير الصغير" رفض جميع قيم حادثة المجتمع الرأس مالي، وتبين ذلك في الرواية من خلال انتقاده لـ (عالم أصحاب الجدّ والوقار، وعالم العجولين مجانين السرعة، وعالم المتفلسفين المدّعين، أي عالمنا الحديث)²²، فباختراقه لجدار كوكبه، يُقيم القارئ علاقة مشابهة بين الجدار الروائي، وهدم جدار برلين في الواقع الذي أعلن بداية عصر جديد، تتحكم فيه العولمة، كما يحسُّ المتلقي أن الكاتب ينتقد من خلال روايته العالم الحداثي الذي نعيش فيه اليوم.

2. العزلة والاغتراب:

يظهر من خلال محاولة "الأمير الصغير" إقامة علاقة صداقة مع الثعلب والزهرة، وبحته عن أصدقاء آخرين في الصحراء، مثال ذلك قول "الأمير الصغير": (كونوا أصدقائي فأنا وحيد)²³، عند ربط الواقع الحقيقي مع العالم الروائي، يُخيل للقارئ أن الكاتب يقيم علاقة مشابهة بين الطفل الروائي وطفل اليوم أمام جهاز الحاسوب؛ فالعالم أصبح متاحاً له من خلال الوسائط الاجتماعية الموجودة في الإنترنت، وهو منبهر به ويريد التغلغل فيه ومعرفته بعمق، شغوفاً بما تقدمه، نهماً لتصفّح مختلف المواقع الإلكترونية.

إن الحكمة من هذه الرواية هي: إعادة زرع الروح الإنسانية، ومحاولة التلمص من حياة العولمة المادية، فغنى الحياة بالنسبة للكاتب موجود في العلاقات الإنسانية، فإذا ألفت كائناً تجاوزت به

العلاقة العرضية المصطنعة، لتصل إلى علاقة جوهرية عميقة²⁴، وهنا يستعرض الروائي حالة العزلة والاغتراب التي يعيشها إنسان اليوم، وهو ما نجده في شخصيات الرواية، ودليل ذلك قول الأمير: (لم يعد للناس وقت لمعرفة شيء.. فهم يشترون من التجار الأشياء الجاهزة. وبما أنه لا يوجد تجار يبيعون الأصدقاء، لم يعد للناس أصدقاء)²⁵، في الرواية يتخذ كل فرد كوكباً له ينعزل فيه عن الباقين، فقد كان للأمير الصغير كوكب خاص، لكنه خرج منه كاسراً حدوده، رافضاً عزلته، وهو مشابه لما يحدث للبشرية اليوم، فالفردي يعيش حالة عزلة عن محيطه، وبالتالي حاول الكاتب إيقاظ الحس الإنساني في الناس، من خلال الأمير الصغير، حين خرج من كوكبه المنعزل باحثاً عن أصدقاء، في ظل عالم حداثي متطور.

3. التطور التكنولوجي العولمي:

أصبح طفل اليوم متلقياً بامتياز، بسبب ما تتيحه له الطرق السريعة للمعلومات، فالعالم بين يديه متى شاء، ينتقل بين ثناياه، هادماً حدوده الجغرافية والسياسية، فلا حواجز تمنعه من ذلك، فمن خلال كرسيه في جهاز الحاسوب يمكنه أن يسافر ويحط أينما شاء، وهو ما جسده الأمير الصغير بقدرته على الانتقال بين الكواكب: (لقد كان الأمير موجوداً في منطقة الكويكبات 329، 328، 327، 326، شرع إذن بزيارتها بحثاً عن مسكن، وعن ما يمكن تعلُّه)²⁶، إن قدرة طفل اليوم على التصفح السريع لمواقع الإنترنت جعلته راغباً في اكتشاف المزيد من خبايا ومكونات العالم، والبحث والتعلُّم منه، لكنه سرعان ما يملُّ، وينتقل لمواقع أخرى.

عبر الكاتب عن دهشة الأمير الصغير حيال تطور العالم: (أدهشت هذه السلطة الأمير الصغير، لو حصل هو على مثلها لتمكّن من مشاهدة ليس أربعة وأربعين غروباً فحسب، بل اثنين وسبعين أو حتى مائة أو مائتي غروباً في يوم واحد، من دون حاجة إلى تحريك كرسيه)²⁷، وهو ما يحدث في الواقع، فالطفل بطبعه يبقى شغوفاً للبحث والتلقي، لكنه لا يملك رقابة على ذاته ووقته، فهو يتأثر بهذا التطور الهائل، ويسير نحوه ببراءة دون تراجع.

4. فكرة القرية:

إنّ الفكرة المحورية للعملة هي جعل العالم قرية صغيرة، يقول مشعل المصباح للأمير الصغير: (الكوكب صار يدور أسرع فأسرع، وسرعته تزايد سنة بعد سنة... النتيجة هي أنني لم أعد أجد ثانية واحدة للراحة بعدما صار الكوكب يدور مرة في الدقيقة!... هذا أمر غريب! الأيام عندك

تدوم دقيقة واحدة!)²⁸، هذا المثال مقارنة لما يحدث في الكون، فأني مستعد في أي بلد يُذاع خبره بسرعة فائقة، وما ساعد في ذلك هو؛ تدخل الوسائل الإعلامية والشبكات العنكبوتية.

من خلال الرواية، نجد أن الكاتب استشرّف المستقبل، في استشرّاه للتطور الذي وصل إليه العالم اليوم، حين استعرض مظهرًا آخر من مظاهر العولمة، وهو سهولة الوصول إلى المعلومة أو زيارة أي مكان في أي وقت دون تعب: (ذلك الطفل لم يبدُ تأثها، كما لم يكن يظهر عليه تعب ولا جوع ولا عطش ولا خوف، لم يبد عليه أنه طفل تائه وسط الصحراء، بعيدا عن المناطق المأهولة بألف ميل)²⁹، هذا هو حال الطفل اليوم الذي يلجأ إلى الإنترنت لينهل ما يشاء دون أي جهد أو تعب، مماثلا لما يحدث مع الأمير الصغير، بعد قيامه بعدة رحلات لانتقاله عبر الكواكب.

5. التشيؤ وطغيان المادية:

التشيؤ هو أن يصبح الإنسان مغتربا في عالمه، فيصبح مجرد شيء وسط عالم المادة، وبالتالي يفقد إنسانيته، وذلك نتيجة لاستبداد وسيطرة النظام الرأس مالي المفكك للقيم الإنسانية للمجتمع³⁰، والرواية تُصوّر لنا شخصاً يُعانون من فقدان الروح الإنسانية، يقول الأمير الصغير: (بسبب الراشدين فهم يحبون الأرقام)³¹، فالهم الوحيد لهم هو الأرقام والمظاهر، لا يهتمون بجوهر الأشياء، فقيمة الشخص انعدمت في زمن طغت عليه الآلة والتكنولوجيا، فأصبح الشغل الشاغل للإنسان الانهماك في العمليات الحسابية والاهتمام بالأرقام.

استحوذت المادية على تفكير الإنسان، وقد تجسّد ذلك في الرواية من خلال العالم التركي الذي قدم: (خلال مؤتمر علمي للفلك عرضا مفصلا عن اكتشافه، لكن لم يصدق كلامه أحد بسبب زيه... وقد أعاد الفلكي اكتشافه سنة 1920، وهو يرتدي لباسا أنيقا، فاقنّع الجميع برأيه)³²، والسبب فيما تعرّض له العالم التركي الذي لم يأبه أحد لتصريحاته، هو ملابسه وهيأته التي تدل على فقره.

6. أخطار العولمة في الرواية:

تعمل العولمة على بث الأفكار التي من شأنها زلزلة القيم الثقافية الأصيلة للأطفال، والرواية تشير ضمناً إلى بعض هذه المخاطر: (إنها بذور البوابات وقد كان تراب الكوكب ملوثا بها، فشجر البوابات إذا لم يقتلع وهو صغير، صار من المستحيل التخلص منه... لكن خطر البوابات لا يعرف

عنه إلا القليل)³³، يخيّل للقارئ أن الكاتب اختار شجر "البابواب"، ليشير به للعملة لأنهما يشتركان في نفس الخطر على العالم.

أخضعت العملة جميع سكان المعمورة لأنظمتها التي سيطرت على العالم، وهذا ما عبّرت عنه الرواية في قول الصغير متعجبا: (كلهم يسرون على نظام واحد لا يخطئونه، إنه أمر عظيم)³⁴، وهي إشارة لانصياع الشعوب لثقافة الغرب، وبهذا تحققت عملية الغزو الفكري والحضاري، ونجح القائمون على هذا النظام خلف الكواليس في تكريس شعاراتهم وأنساقهم الثقافية، في مقابل أنساق الشعوب المحلية، فالأمير الصغير هو كل طفل في العالم الواقعي، تأثر بهذا التطور، لذلك طرح سؤالاً مهماً: (وما الطقوس؟ أجاب: إنها شيء طواه النسيان أيضا. هي ما يجعل أحد الأيام مختلفا عن سائر الأيام، ويجعل ساعة محددة مختلفة عن سائر الساعات)³⁵؛ إذن ما يحدد الخصوصية الهوياتية للشعوب هو ثقافتهم المتشكلة من عادات وتقاليدهم.

خاتمة:

من كل ما سبق نخلص إلى جملة من النتائج الأساسية منها:

- اهتم الباحثون والنقاد بمرحلة الطفولة، فقدّموا بحوثاً وكتباً شعرية ونثرية، موجهة لهذا الكائن الصغير، تشكل في مجملها "أدب الطفل" الذي يختلف عن أدب الكبار، بمجموعة من المعايير لتناسب الطفل وتداعب خياله وفكره.

- اكتسحت العملة كافة مناحي الحياة (سياسيا واقتصاديا وثقافيا...)، فحاولت فرض نموذجها القروي -أي جعل العالم قرية كونية صغيرة- من خلال استغلالها للوسائط التكنولوجية، التي لعبت دورا أساسيا في بناء هذا الصرح السياسي (النظام الرأس مالي).

- تعد فئة الطفولة من أكثر الشرائح العمرية استهدافا من قبل العملة، لأنها تحاول إعداد إنسان ذي بعد واحد، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال فرض نموذجها الحضاري الغربي على الطفل.

- اختلف أدب طفل البارحة عن أدب طفل اليوم، فأدب طفل اليوم غزته الظواهر الحديثة، وتسّلت إليه من خلال مختلف الوسائل الإلكترونية الحديثة (جهاز الحاسوب، التلفاز، الهاتف الذكي)، وكذلك الوسائل التكنولوجية (الأنترنت)، فأصبح العالم متاحا للطفل، وبهذا ابتعد

الطفل عن الأدب المكتوب، وعوضه بنوع آخر من الأدب التفاعلي، الذي يستقيه من مختلف الوسائط والمواقع الاجتماعية.

-تعد ثقافة الطفل لبنة أساسية لبناء ثقافة المجتمع، لكون الطفل هو باني ثقافة الغد، وبالتالي ثقافة المستقبل التي تعمل العولمة جاهدة على إفراغ الناشئة من محتواها الهويّاتي، من خلال بث نموذج غربي بحت.

-تحاول العولمة القضاء على خصوصيات الشعوب، ولاسيما آدابها الشعبية الأصلية، محتجة في ذلك بعدم مواكبتها للعصر، فتفرض بالتالي نماذجها وسلوكياتها، تعرضها على أنها نماذج مثالية كاملة، وهو ما يستهوي الطفل ويسلب لبه، فتبعده شيئاً فشيئاً عن هويته ودينه ولغته.

-تعتبر رواية الأمير الصغير لـ"أنطوان دي سانت أكوبييري" من بين الروايات الأكثر شهرة وترجمة، إذ قدّمت للصغير - في قالب روائي - جملة مكثفة من الإبحار في عالم التسلية والخيال، مستغلة لغة بسيطة بعيدة عن الرمزية، لكنها تلامس وجدان الطفل وذائقته.

-تجلت في الرواية مجموعة من وجهات نظر الكاتب الاستشراعية التي تنبأ بمستقبل عولمي، وعبر عن رفضه لهذا التطور من خلال شخصية الأمير الصغير، الذي حاول الخروج من هذا الغزو الحداثي بهدم جدار قريته الصغيرة، والبحث عما فقدته الإنسان في هذا العصر الذي غزاه التطور التكنولوجي.

-خرج الأمير الصغير من دائرة كوكبه الصغير باحثاً عن أشياء جديدة، لكن الطفل في هذا العصر يأتمن العالم من خلال نافذة حاسوبه، دون تحريكه لكرسيه، فالطفل الآن مجبر على أن يعيش هذه العولمة وفق ما يمليه عليه الآخر، وهو هنا بوعيه ونظراته النقدية، يتحول إلى نموذج للطفل الافتراضي في الألفية الثالثة.

الهوامش

*الأمير الصغير (le petit prince)، هي رواية صغيرة للكاتب الفرنسي أنطوان دوسانت أكوبييري (1900-1944)، نشرت سنة 1943 في فرنسا، قد تم التصويت للرواية كواحدة من بين أفضل كتب القرن العشرين حسب صحيفة لوموند، وقد ترجمت إلى أكثر من 230 لغة ولهجة، وبيعت أكثر من 80 مليون نسخة في جميع أنحاء العالم، مما يجعلها واحدة من أفضل الكتب مبيعاً.

- ¹ بركات محمد مراد: ظاهرة العولمة، رؤية نقدية بين رفض العرب الإسلاميين والترويج الغربي، ص: 99. www.kotobalarabia.com
- ² فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ترجمة فؤاد شاهين وآخرين، الإشراف والمراجعة والتقديم مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، 1993، ص: 68-69.
- ³ المرجع نفسه، ص: 105.
- ⁴ إسماعيل عبد الكافي: معجم مصطلحات العولمة (مصطلحات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية وإعلامية)، ص: 356 www.kotobalarabia.com
- ⁵ إبراهيم علوش: نقد برنامج التكيف مع العولمة: نموذج برهان غليون، مقالات فكرية ودراسات، الصوت العربي الحر، 9 أكتوبر 2011. [Free Arabvoice.org](http://FreeArabvoice.org)
- ⁶ معجم مصطلحات عصر العولمة، ص: 71-72.
- ⁷ بركات محمد مراد: ظاهرة العولمة، ص: 92.
- ⁸ معجم مصطلحات عصر العولمة، ص: 335.
- ⁹ المرجع نفسه، ص: 120.
- ¹⁰ أحمد زلط: أدب الطفولة، أصوله ومفاهيمه "رؤى تراثية"، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 4، 1997، ص: 24-25.
- ¹¹ موفق رياض مقدادي: البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر 2012، ص: 17.
- ¹² عبد الله الخلياري: ثقافة الطفل وتحديات العولمة، التدريس مجلة كلية علوم التربية، السلسلة الجديدة، جامعة محمد الخامس السويسي، المغرب، العدد 5، 2013، ص: 29.
- ¹³ موسوعة الأسرة، اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال الشريعة الإسلامية، ج 7، الكويت، ط 1، 2011، ص: 255.
- ¹⁴ سليمان بن صالح الخرشني: العولمة، دار بلنسية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط 1، 1420هـ، ص: 27-30.
- ¹⁵ برهان غليون: "تأثير العولمة على الوضع الاجتماعي في المنطقة العربية"، ورقة مقدمة إلى خبراء النخبة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، بيروت، لبنان، 2005، ص: 2.
- ¹⁶ صابر حارص: الإعلام العربي والعولمة الإعلامية والثقافية والسياسية، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، 2008، ص: 90.
- ¹⁷ سعاد عزيزي: قيم العولمة في برامج الأطفال في التلفزيون العربي، دراسة تحليلية لبرامج الأطفال المعروضة في التلفزيون الجزائري سنة 2008، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في العلوم والاتصال، إشراف مهدي زعموم، كلية العلوم الساسية والإعلام والاتصال، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، 2008/2009، ص: 183.
- ¹⁸ مسعودي زهراء، مسعودي رشيدة: التنشئة الاجتماعية لمواجهة تأثيرات العولمة على كافة العناصر البشري وفعالية مشاركته في تحقيق التنمية الاقتصادية، المجلة العلمية لجامعة الجزائر 3، العدد 3، ديسمبر 2017، ص: 5.

- ¹⁹ عبد الله الخياري: ثقافة الطفل وتحديات العولمة، ص: 29.
- ²⁰ إسماعيل سعداوي: توظيف التراث في القصة الموجهة للطفل الجزائري الأبعاد والدلالات 2000-2014، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه أدب عربي حديث، إشراف جمال مجناح، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، 2017/2018، ص: 39.
- ²¹ سليمان بن صالح الخرشني: العولمة، ص: 14.
- ²² بيير هنري سيمون: "رواية الأمير الصغير" قصيدة في الطفولة، ترجمة عصام صبري، مجلة المعرفة، مجلة ثقافية شهرية، إصدار وزارة الثقافة والإرشاد القومي، السنة السادسة، دمشق، سوريا، العدد 68، 1967، ص: 151.
- ²³ أنطوان دوسانت أكروبيري: الأمير الصغير، ترجمة محمد التهامي العماري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الغرب، ط 2، 2013، ص: 66.
- ²⁴ ينظر: بيير هنري سيمون: "رواية الأمير الصغير" قصيدة في الطفولة، ص: 153.
- ²⁵ المصدر نفسه، ص: 71.
- ²⁶ المصدر نفسه، ص: 38.
- ²⁷ نفسه، ص: 41.
- ²⁸ نفسه، ص: 52.
- ²⁹ نفسه، ص: 14.
- ³⁰ ينظر: محمد الأمين بحري: البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية، دراسة في نقد النقد، منشورات مديرية الثقافة لولاية بسكرة، سلسلة رؤى إبداعية، دار بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، ط 1، 2013، ص: 95.
- ³¹ المصدر نفسه، ص: 21.
- ³² المصدر نفسه، ص ن.
- ³³ نفسه، ص: 25-26.
- ³⁴ نفسه، ص: 60.
- ³⁵ نفسه، ص: 72.

قائمة المصادر والمراجع:

- (1) إبراهيم علوش، نقد برنامج التكيف مع العولمة: نموذج برهان غليون، مقالات فكرية ودراسات، الصوت العربي الحر، 9 أكتوبر 2011، Free Arabvoice.org.
- (2) أحمد زلط، أدب الطفولة، أصوله ومفاهيمه "رؤى تراثية"، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ط 4، 1997.

- (3) إسماعيل سعداوي، توظيف التراث في القصة الموجهة للطفل الجزائري الأبعاد والدلالات 2000-2014، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه أدب عربي حديث، إشراف جمال مجناح، جامعة محمد بوضياف المسيلة- الجزائر، 2018/2017.
- (4) إسماعيل عبد الكافي، معجم مصطلحات العولمة، (مصطلحات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية وإعلامية)، ص 356. www.kotbarabia.com
- (5) أنطوان دوسانت - أكروبيري، الأمير الصغير، ترجمة محمد التهامي العماري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- الغرب، ط2، 2013.
- (6) بركات محمد مراد، ظاهرة العولمة، رؤية نقدية بين رفض العرب الإسلاميين والترويج الغربي. www.kotobalarabia.com
- (7) برهان غليون، "تأثير العولمة على الوضع الاجتماعي في المنطقة العربية"، ورقة مقدمة إلى خبراء النخبة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، بيروت- لبنان، 2005.
- (8) بيير هنري سيمون، "رواية الأمير الصغير" قصيدة في الطفولة، ترجمة عصام صبري، مجلة المعرفة، مجلة ثقافية شهرية، إصدار وزارة الثقافة والإرشاد القومي، العدد 68، السنة السادسة، دمشق- سوريا، 1967، ص 151.
- (10) سعاد لعزيزي، قيم العولمة في برامج الأطفال في التلفزيون العربي، دراسة تحليلية لبرامج الأطفال المعروضة في التلفزيون الجزائري سنة 2008، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في العلوم والاتصال، إشراف مهدي زعموم، كلية العلوم الساسية والإعلام والاتصال، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، 2009/2008.
- (11) سليمان بن صالح الخرشني، العولمة، دار بلنسية للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية- الرياض، ط1، 1420هـ.
- (12) صابر حارص، الإعلام العربي والعولمة الإعلامية والثقافية والسياسية، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، ط1، 2008.
- (13) صفية علي، آفاق النص الأدبي ضمن العولمة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية، إشراف علي عالية، جامعة محمد خيضر بسكرة-الجزائر، 2015/2014.
- (14) عبد الله انخيار، ثقافة الطفل وتحديات العولمة، التدريس مجلة كلية علوم التربية، السلسلة الجديدة، جامعة محمد الخامس السويسي، المغرب، العدد 5، 2013.
- (15) فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ترجمة فؤاد شاهين وآخرين، الإشراف والمراجعة والتقديم مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت- لبنان.
- (16) محمد الأمين بحري، البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية، دراسة في نقد النقد، منشورات مديرية الثقافة لولاية بسكرة، سلسلة رؤى إبداعية، دار بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة- الجزائر، ط1، 2013.
- (17) مسعودي زهراء، مسعودي رشيدة، التنشئة الاجتماعية لمواجهة تأثيرات العولمة على كافة العناصر البشري وفعالية مشاركته في تحقيق التنمية الاقتصادية، المجلة العلمية لجامعة الجزائر 3، العدد 3، ديسمبر 2017.

18) موسوعة الأسرة، اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال الشريعة الإسلامية، ج7، الكويت، ط1، 2011.

19) موفق رياض مقدادي، البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر 2012.